إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية لزوجات الآباء الكهنة ديسمبر ٢٠١٣ م

دور أم هوية (٣)

تعرفنا في المقالة السابقة على أن المعيار الذي يميز الدور من الهوية هو **معيار الدهر الآتي** حيث رأينا أن الأدوار ترتبط بأهداف معينة تتحقق في الدهر الحاضر وأنها تزول في الدهر الآتي لعدم الحاجة إليها ولا يتبقى منها سوى أجرتها، بينما تبقى الهوية التي هي كيان الشخص. ورأينا أن المواهب هي ليست إلا أدواراً ستتلاشى في الدهر الآتي، بينما المحبة الكامنة وراء الموهبة هي الهوية التي ستبقى. واتفقنا على أن الكهنوت، بخلاف كونه سراً، هو **دور وهوية بآن واحد**؛ فهوية الكاهن هي هوية الخادم الباذل المحب، بينما دوره هو إتمام خدمة الأسرار على الأرض. وأن "زوجة الكاهن" هو دور، لكنه دور له طبيعة خاصة ومتطلبات خاصة، وبالتالي له تحديات خاصة و**"أجرة خاصة"**.

تحديات دور الكاهن وزوجة الكاهن

(١) أول تحدي يواجه زوجة الكاهن، بل والكاهن أيضاً، هو تعامل الآخرين معهما من خلال هذا الدور فقط. بمعنى أن المحيطين بوجه عام، والمخدومين بوجه خاص، **يلاشون ويختزلون هوية الكاهن وزوجته في هذا الدور، ويحصرونهما فيه**. فقد ينسى المخدوم تماماً أن الأب الكاهن (وزوجته بالطبع) هو **إنسان في هويته**، وأن له أدواراً أخرى في الحياة كدور الزوج ودور الأب مثلاً. يؤدي ذلك إلى ارتفاع سقف التوقعات الموضوعة على الكاهن وزوجته، بل وأبنائهما، من قِبَل الرعية. **إنهم يتوقعون من الكاهن وزوجته كل ما هو مطلق** ولا يقبلون بالمرة بما هو نسبي من حيث الرعاية، والاهتمام،والإرشاد، والوقت...إلخ. **وكيف لا وهم يرون في الكاهن "المسيا"، ويسقطون عليه صورة الإله كلي القدرة؟!**

هنا يختلف رد فعل الكاهن وزوجته من جهة تلك التوقعات. أخطر ردود الأفعال تلك هو **أن يستجيبا لهذه التوقعات المطلقة بطريقة مطلقة لاتعترف بالحدود والإمكانيات**. بمعنى أنهما يختزلان ويلاشيان هويتهما الفريدة في دوريهما ككاهن وزوجة كاهن، ويتوحدان مع هذا الدور، ومن ثم يستمدان كل شعورهما بكيانيهما وهويتيهما من ممارسة هذا الدور، ويحل

هذا الدور محل الهوية فيصير هو محور الحياة كلها وهدفها الأوحد. ولأن الإنسان، حتى لو كان كاهناً، هو إنسان لقدراته البدنية والنفسية حدود، فإنه ولابد أن ينتهي بهما الأمر إلى الوقوع تحت ضغط نفسي شديد وإلى الاحتراق تحت أعباء توقعات مطلقة غير عملية. وفي النهاية يصيبهما الضجر، والإحباط، بل والتشكك والسجس من جهة دعوة الكاهن للكهنوت ذاتها!!

قد يتساءل البعض متعجبين أو مستنكرين: ألا يعطي الله للكاهن وزوجته نعمة خاصة تليق بمتطلبات هذا الدور الكهنوتي؟ أليس الكاهن وزوجته قد إئتمنهما الله على الكثير وبالتالي سيطالبهما بالأكثر؟ ألم يوبخ الله في الكتاب المقدس الرعاة الذين لا يتعهدون الرعية وتوعدهم بالويلات؟

الإجابة على هذه الأسئلة تكمن في النصوص والمواقف التالية في الكتاب المقدس:

- قدم يثرون حمو موسى نصيحة إليه: *"ليس جيداً الأمر الذي أنت صانع. إنك تكل وهذا الشعب الذي معك جميعاً.* ***لأن الأمر أعظم منك. لا تستطيع أن تصنعه وحدك....وخفف عن نفسك*** *فهم يحملون معك"* (خر١٨: ١٧-١٨، ٢٢).

ماذا أنت بفاعل يا يثرون؟!! كيف تتجرأ وتقول عن موسى رجل الله الذي شهد عنه الله نفسه أنه *"فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه لا بالألغاز"* (عد١٢:٨) أن الأمر أعظم منه وموسى هو الذي كلفه الله بأعظم الأدوار وصنع على يديه أعظم العجائب في التاريخ على وجه الإطلاق؟! كيف تصفه بأنه لا يستطيع وحده بينما هو مؤيد ومؤازر بقوة ونعمة الروح القدس؟!

يا لروعة هذا النص الكتابي العجيب!! فهوذا يثرون يعلم موسى كيف يعي الفرق بين هويته ودوره، **فهو بقوله له: *"خفف عن نفسك"* ينبهه إلى ضرورة احترامه لهويته الإنسانية بكل حدودها وطاقاتها، وأن يتجنب ذوبانها وتلاشيها في دوره.**

- لم يكن السيد المسيح في فترة خدمته على الأرض يدع دوره الرعوي ينسيه هويته كابن مولود من الله الآب مساوٍ له في الجوهر، فكان حريصاً جداً على الصعود إلى الجبل منفرداً وقضاء الليل كله في الصلاة، **تلك الصلاة التي جعلت هويته النورانية تتجلى** أمام تلاميذه على جبل طابور. *"وبعدما صرف الجموع صعد إلى الجبل منفرداً ليصلي"* (مت١٤:٢٣)، *"وفي تلك الأيام خرج إلى الجبل*

ليصلي. وقضى الليل كله في الصلاة لله" (لو٦:١٢)، *"وصعد إلى جبل ليصلي وفيما هو يصلي صارت هيئة وجهه متغيرة ولباسه مبيضاً لامعاً"* (لو٩: ٢٨-٢٩). **فهوذا السيد المسيح يعلمنا أن الدخول إلى المخدع في الصلاة هو ليس إلا تخلي مؤقت عن الأدوار لصالح التواصل مع الهوية في أعماق القلب، هوية ابن الإنسان وابن الله بآن واحد، وهذا التواصل العميق مع الهوية يخدم بدوره جودة آداء الأدوار.**

- أعاد السيد المسيح في مواضع كثيرة في الكتاب المقدس للأولويات الترتيب الصحيح. **فقد أعطى لهوية الخادم الملتصقة بالله والمتحدة به في محبة الأولوية والأفضلية على دوره في الخدمة.** فنحن نجد ذلك واضحاً في الحوار الشهير بين السيد المسيح ومرثا التي كانت مرتبكة في خدمة كثيرة (أي في أدوار كثيرة)، ومريم التي جلست عند قدمي يسوع وكانت تسمع كلامه (في تواصل مع هويتها الملتصقة بالله). فقول السيد المسيح: *"ولكن الحاجة إلى واحد. فاختارت مريم النصيب الصالح الذي لن ينزع منها* (أي من هويتها) " (لو١٠:٤٢) يؤكد صحة معيار ثبات الهوية وتلاشي الأدوار في الدهر الآتي.

كما أننا نجد تلك الأولوية للهوية واضحة أيضاً في قوله: *"لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله* (من خلال أدوار عديدة) *وأهلك نفسه* (هويته وكيانه) *أو خسرها؟"* (لو٩:٢٥)، وفي قوله: *"السبت* (أي الدور) *إنما جعل لأجل الإنسان* (أي هويته) *لا الإنسان لأجل السبت"* (مر٢:٢٧)، وقوله: *"تعالوا أنتم منفردين* (أي للتواصل مع هويتكم) *إلى موضع خلاء واستريحوا قليلاً* (أي بعيداً عن كل دور) *لأن القادمين والذاهبين كانوا كثيرين ولم تتيسر لهم فرصة للأكل"* (مر٦:٣١)، وأيضاً في قوله: *"ولكن لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم بل افرحوا بالحري أن أسماءكم كُتبت في السموات"* (لو١٠:٢٠) **أي بعد أن تتمموا دوركم في الخدمة احرصوا على ألا تستمدوا هويتكم وكيانكم من نجاح وإثمار دوركم كخدام، بل لتبقوا في سلام طالما أنه في كل الأحوال قد كتبت أسماؤكم (التي ترمز لهويتكم) في السموات.**

(يتبع)